



SIATS Journals

The Journal of Sharia Fundamentals for
Specialized Researches

(JSFSR)

Journal home page: <http://www.siats.co.uk>



مجلة أصول الشريعة للأبحاث المتخصصة

العدد 2، المجلد 1، تموز، يوليو 2015م.

e ISSN 2289-9073

الحياة المجتمعية في فلسطين من خلال تقارير صحيفة "الفتح" المصرية (1926_

1947م)

إبراهيم الزعيم - د محمد رسلان محمد نور

قسم التاريخ والحضارة الإسلامية/جامعة ملابا

ezm2009@hotmail.com

1436 هـ - 2015 م



ARTICLE INFO

Article history:

Received 20/3/2015

Received in revised form 20/4/2015

Accepted 10/7/2015

Available online 15/7/2015

Keywords:

Insert keywords for your paper

ABSTRACT

It is known that the question of Palestine is of concern of all Muslims in general and intellectuals in particular. When the plight of this country started at the beginning of the past century, elites became more interested in the issue of Palestine; we could find newspapers, magazines, and well-known publications talking extensively to raise the awareness of the Muslim nation about the Zionist plans in the holy land. Britain has played a role in strengthening the Zionist presence in Palestine, demographically, politically, militarily. In addition, these publications played a role in urging and mobilizing the Muslim nation to confront this serious reality, which was clearly not in the favor of Arabs and Muslims.

Alfateh Egyptian Newspaper was one of these newspapers, which played an important role in educating the public, and confronting all attempts to Judaize Palestine, to destroy its sacred sites, to change its historical features, and to rob its resources and to kick out its people. It also contributed to educating the public about the life of Palestinians on all levels; it, along with other publications, refuted the Zionist claim that Palestine was a land without a people to a people without a land. Palestinians lived in Palestine and established a civilization for thousands of years.

Thus, the goal of this study is to know more about the Newspaper, and to observe the characteristics of social life in Palestine as discussed by Alfatah Newspaper (1926-1947), which includes religious, cultural and economic aspects of life.



الملخص

من المعلوم أن قضية فلسطين هي قضية المسلمين عموماً، والمتقنين منهم على وجه الخصوص، وعندما بدأت محنة هذا البلد مطلع القرن الماضي، ازداد اهتمام النخب الثقافية بالقضية الفلسطينية، فوجدنا صحفاً ومجلات عريقة تفرد مساحات واسعة لتوعية الأمة بحقيقة المطامع الصهيونية في أرض الإسرائء والمعراج، ودور بريطانيا في التمكين الديمغرافي والسياسي والعسكري لليهود في فلسطين، إضافة إلى حث الأمة واستنهاضها لمواجهة واقع خطير، كان واضحاً أن نتائجه لن تحمل خيراً للعرب والمسلمين.

كانت صحيفة "الفتح" المصرية، واحدة من هذه الصحف، التي حملت أمانة الجهاد بالقلم، فلم تدخر جهداً في التصدي لمحاولات تهويد فلسطين، وتدمير مقدساتها، وتغيير معالمها التاريخية، وسرقة أرضها، ونهب خيراتها، وطرد شعبها، كما ساهمت في التعريف بالحياة الفلسطينية على مختلف الأصعدة؛ فنفت مع غيرها من الصحف مقولة زعماء الصهيونية "فلسطين أرض بلا شعب لشعب بلا أرض"، إذ عاش فيها شعب بنى حضارة على مدار الألف السنين.

ولهذا فإن أهداف هذا البحث، هي التعرف على الصحيفة موضع الدراسة، ورصد مظاهر الحياة المجتمعية في فلسطين في صحيفة "الفتح" المصرية (1926_ 1947م)، والتي تشمل الجوانب التالية: الحياة الدينية، والحياة الثقافية، والحياة الاقتصادية.

المقدمة

أسست صحيفة "الفتح" في العاصمة المصرية القاهرة؛ للتصدي لصحف الإلحاد والإباحية التي اجتاحت مصر بعد الحرب العالمية الأولى. بعد الحرب العالمية الأولى (1914_ 1918)، اشتد تيار التحلل في النفوس والآراء والأفكار باسم التحرر العقلي، ثم في المسالك والأخلاق والأعمال باسم التحرر الشخصي. وظهرت كتب وجرائد ومجلات كل ما فيها ينضح بهذا التفكير، الذي لا هدف له إلا إضعاف أثر أي دين، أو القضاء عليه في نفوس الشعب لينعم بالحرية الحقيقية فكريا وعلميا في زعم هؤلاء الكتاب والمؤلفين¹.

ولذلك كان الشيخ البنا مقتنعا بأن التصدي لدعاة التحرر والإلحاد، لا بد أن يستخدم الوسائل نفسها التي استخدموها في إبعاد الناس عن الدين، والوسيلة الناجعة برأيه هي تأسيس صحيفة إسلامية، لمواجهة تلك الصحف والمجلات.

ولتحقيق ذلك الهدف التقى بمجموعة من العلماء، منهم: يوسف الدجوي، وأحمد كامل، ومحمد سعيد، رشيد رضا، وتكلم الشيخ البنا عن فكرته، وبعد نقاش اقتنع الحضور بما قاله الشيخ البنا لهم، وهو: "لا أريد إلا أن تحصر أسماء من نتوسم فيهم الغيرة على الدين، من ذوي العلم والوجاهة والمنزلة، ليفكروا فيما يجب أن يعملوه: يصدرون ولو مجلة أسبوعية أمام جرائد الإلحاد والإباحية، ويكتبون كتباً وردوداً على هذه الكتب. ويؤلفون جمعيات يأوي إليها الشباب، وينشطون حركة الوعظ والإرشاد"².

ووافق الحضور على طرح الشيخ البنا، وشرعوا بكتابة عدد من أسماء المشايخ والعلماء، وتبع ذلك اللقاء لقاءات عدة، "وتكونت نواة طيبة من هؤلاء الفضلاء وواصلت اجتماعها بعد عيد الفطر، وأعقب ذلك أن ظهرت مجلة "الفتح"

¹ البنا، حسن: مذكرات الدعوة والداعية، ص 57_58.

² البنا، حسن: مذكرات الدعوة والداعية، ص 62.

الإسلامية القوية يرأس تحريرها الشيخ عبد الباقي سرور نعيم[•] رحمه الله، ومديرها محب الدين الخطيب[•]، ثم آل تحريرها وإدارتها إليه، فنهض بها خير نهوض، وكانت مشعل الهداية والنور لهذا الجيل من شباب الإسلام المثقف الغيور³.

صدر العدد الأول من صحيفة "الفتح" بتاريخ 10 يونيو 1926م، وجاء في الصفحة الثانية من العدد الأول من الصحيفة هذه الكلمات: "الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد، فقد هال جماعة من أهل الغيرة على الدين والحمية للإسلام، تلك النزعات الهادمة والمهجمات التي يوجهها الملحدون نحو أصول الإسلام وقواعده. فكان ذلك من دواعي إصدار صحيفة دينية علمية أدبية تقوم بالدفاع عن الإسلام، وتعمل على تمثيله للقراء تمثيلاً صحيحاً بريئاً من الشوائب⁴.
في هذه الورقة سنتناول ثلاثة جوانب مهمة تكشف عن تفاعل المجتمع والسياسة في فلسطين في تلك الفترة وهي: الحياة الدينية، والحياة الثقافية، والحياة الاقتصادية.

أولاً: الحياة الدينية:

تأسيس الجمعيات الإسلامية:

في العام التالي للاحتلال البريطاني لفلسطين، تم تأسيس عشرات النوادي والجمعيات والمؤسسات الثقافية والسياسية، وتأسست حركات عمالية، وأخرى طلابية، وثالثة نسائية منظمة، مما شكل دفعة لتطور المجتمع الفلسطيني. ومن هذه الجمعيات: جمعيات الشبان المسلمين، وتلبية لتوصية من المؤتمر الإسلامي عام 1935 في القدس، تألفت جمعيات الأمر

• كاتب مصري. مولده ووفاته في قراقص (من قرى دمنهور) تعلم بالأزهر، وتولى تحرير جريدة الأفكار اليومية بالقاهرة. اتهم بإثارة الجماهير على البريطانيين، أيام احتلالهم مصر، فسجن ثلاثة أشهر، وأصيب بالسل، فمات قبل أن يبلغ الخمسين من عمره. له كتاب "الإسلام ماضيه وحاضره"، ونحو مئة مقالة نشرها في الفتح. (الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج3، ص271).

• محب الدين بن أبي الفتح محمد بن عبد القادر بن صالح الخطيب، ولد في دمشق وتعلم بها وبالأستانة. عندما أعلنت الثورة العربية في مكة عام 1916م، قصدتها وحرر جريدة "القبلة"، وحكم عليه الأتراك بالإعدام غيابياً. ولما جلا العثمانيون عن دمشق، عاد إليها عام 1918م وتولى إدارة جريدة العاصمة. أنشأ المطبعة السلفية ومكتبها في القاهرة، فأشرف على نشر عدد كبير من كتب التراث وغيرها. (الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج5، ص282).

³ البناء، حسن: مذكرات الدعوة والداعية، ص63.

⁴ الفتح، م1، ع1، 1344هـ (1926م)، ص2.

بالمعروف والنهي عن المنكر في يافا وبئر السبع وغزة عام 1935م، وطولكرم عام 1937م، وجمعيات الهداية الإسلامية في يافا عام 1933 ونابلس وغزة عام 1934م.

ثم أسست جمعية الإخوان المسلمين في غزة عام 1946م، كأحد شعب الإخوان في فلسطين، وقد تبعت في أهدافها جماعة الإخوان المسلمين الأم التي أسسها الإمام حسن البنا في القاهرة عام 1928م⁵.

دور الجمعيات والهيئات الإسلامية في نشر الفضيلة:

بدأ ظهور الجمعيات الإسلامية في العشرينات من القرن العشرين، ولعل أول جمعية إسلامية ظهرت في عهد الانتداب هي: الجمعية الإسلامية التي أنشأت في حيفا أوائل العشرينات من القرن الماضي، وتلتها الجمعية الإسلامية التي أنشأها في الرملة سليمان التاجي الفاروقي، وجمعية الشبان المسلمين في يافا التي يرجح أنها أنشأت في فترة 1922_1923م، وتلتها الجمعية الإسلامية بنابلس التي أنشأت عام 1926م⁶.

وفي عام 1928م عقد مؤتمر الأندية الإسلامية، الذي دعا إليه النادي العربي في نابلس، وشارك فيه كل من: النادي الرياضي الإسلامي (يافا)، وجمعية الشبان الإسلامية (يافا)، وجمعية الإخاء الإسلامي (غزة)، إضافة إلى النادي العربي⁷. وكان من أهم قرارات المؤتمر تأسيس جمعيات في مدن فلسطين ذات دستور واحد باسم "جمعية الشبان المسلمين"، على أن تكون كل جمعية منها مستقلة في أعمالها وإدارتها وأن تضع نظمها الداخلية بحسب ظروفها الخاصة، وقد وضع المؤتمر مشروع الدستور الذي يرغب في أن تتخذه هذه الجمعيات قانوناً أساسياً لها⁸.

فكانت حيفا أول من استجاب لذلك القرار، فأُسست جمعية الشبان المسلمين في العام نفسه، ثم تأسست جمعيات مماثلة لها تتبع نهجها ونظامها وتحضر مؤتمراتها، في القدس وجنين وحنان يونس والخليل والرملة واللد وعكا ونابلس ولفتا (بجوار القدس)، ثم تأسست في صفد والطنطورة والبيرة وقليلية⁹.

⁵ الساعاتي، أحمد: التطور الثقافي في غزة، ص 227_230.

⁶ الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، م 3، ص 183.

⁷ الفتح، م 4، ع 87، 1346 هـ (1928م)، ص 12.

⁸ الفتح، م 4، ع 95، 1346 هـ (1928م)، ص 3.

⁹ الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، م 3، ص 183.

وكان هدف تلك الجمعيات بث الفضائل عبر إصلاح أحوال الشباب، والرقي بالواقع الاجتماعي للمجتمع، من خلال فتح صف ليلي لتعليم الأميين القراءة والكتابة، والاتفاق مع طبيب ومحام، لعلاج الفقراء مجاناً والدفاع عن حقوق من له حق منهم مجاناً، وإعلاء شأن الثقافة الإسلامية عبر تعليمهم شيئاً من أمور دينهم¹⁰.

ونشر المجلس الإسلامي الأعلى بياناً نبه فيه المسلمين في كل البلاد إلى مخاطر انتشار التبرج والسفور، ودعا فيه المسلمين جماعات وأفراداً أن يهبوا لمعالجة هذه الظاهرة الخطيرة¹¹.

كما نجحت جمعية الهداية الإسلامية في نابلس في مقاومة الخمر، عبر استئجار أحد المحلات التي كانت تبيع الخمر، وتقديم شكاوى على المحلين الآخرين¹².

ولما أراد الإنجليز انتهاك حرمة مقبرة مأمّن الله، فبنشئوا فيها مجارٍ تخترقها خدمة لمصالح اليهود، هبت القدس وفلسطين استنكاراً لهذه الأفعال، واجتمع رئيس المجلس الإسلامي الأعلى بالمندوب السامي وأفهمه أنه عدوان ديني لا يقبله المسلمون، فأوقفت الحكومة البريطانية العمل في المقبرة¹³.

المسجد الأقصى المبارك:

لم يغفل المسلمون عن الاهتمام بمقدساتهم وإعمارها، وأهمها المسجد الأقصى المبارك، حيث بلغ مجموع ما أنفق على عمارة المسجد الأقصى المبارك - بإشراف المجلس الإسلامي الأعلى - في ديسمبر عام 1927م (1198) جنيهاً، وإجمالي النفقات حتى آخر الشهر (يناير عام 1928) (61533) جنيهاً، ورصيد الصندوق (33842) جنيهاً¹⁴.

¹⁰ الفتح، م، 4، ع 98، 1346 هـ (1928م)، ص 12.

¹¹ الفتح، م، 5، ع 106، 1347 هـ (1928م)، ص 12.

¹² الفتح، م، 21، ع 471، 1354 هـ (1935م)، ص 15.

¹³ الفتح، م، 13، ع 330، 1351 هـ (1932م)، ص 10.

¹⁴ الفتح، م، 4، ع 79، 1346 هـ (1928م)، ص 5.

ونتيجة الزلزال الذي أصاب فلسطين عام 1927 لحق ضرر ببعض مباني المسجد الأقصى المبارك، لكن قبة الصخرة بقيت سليمة تماما، وقد لوحظ شق صغير في السيفساء من الداخل، ويرجح أنه ناشئ عن تلف سابق. ويتوقع أن ألف جنيه تكفي لترميم العطب الذي أصاب منقطة المسجد¹⁵.

وقد تبرعت الحكومة الفلسطينية بمبلغ (5000) آلاف جنيه¹⁶، وقد شكل الأمير عمر طوسون لجنة من كبار المصريين لجمع الاككتاب من الشعب المصري لصندوق أعمال الترميم للمسجد الأقصى المبارك، وقد تبرع لها الملك بـ (5000) جنيه، والأوقاف المصرية بـ (5000) جنيه¹⁷. كما تبرع المسلمون لهذا الغرض، فقد تبرعت سيدة مصرية أطلق عليها "أم المحسنين" بمبلغ (1000) جنيه مصري، وسلمت المبلغ إلى لجنة عمارة الأقصى في الإسكندرية¹⁸. كما تبرع الأمراء ورئيس الوزراء في مصر¹⁹.

وقد سلمت قبة الصخرة من الخراب بفضل الترميمات التي تمت في العام نفسه قبل وقوع الزلزال.

وحدث بعد عشرة أعوام 1937م هزة أرضية وإن كانت خفيفة، إلا أنها أظهرت ما كان كامنا من الخراب، فتولى المجلس الإسلامي الأعلى عمارة المسجد من إيرادات الأوقاف العامة²⁰.

وفي شهر ربيع الأول عام 1347هـ (آب (أغسطس) عام 1928م) دعا المجلس الإسلامي الأعلى كثيرا من البلاد الإسلامية إلى الاشتراك في حفلة افتتاح المسجد الأقصى المبارك بعد إتمام عمارته²¹.

وقد قرر المجلس الإسلامي الأعلى أن يحظر على النساء المسلمات المتبرجات بشكل ينافي الآداب الإسلامية دخول المسجد الأقصى المبارك²².

¹⁵ الفتح، م3، ع54، 1346هـ (1927م)، ص9.

¹⁶ الفتح، م6، ع137، 1347هـ (1929م)، ص10.

¹⁷ الفتح، م6، ع138، 1347هـ (1929م)، ص13.

¹⁸ الفتح، م6، ع142، 1347هـ (1929م)، ص7.

¹⁹ الفتح، م6، ع146، 1347هـ (1929م)، ص15.

²⁰ العارف، عارف: تاريخ القدس، ص297.

²¹ الفتح، م5، ع111، 1347هـ (1928م)، ص15.

²² الفتح، م5، ع118، 1347هـ (1928م)، ص3.

وأصلحت دائرة أوقاف القدس الفسيفساء في قبة الصخرة، والقاشاني الذي يزين واجهات القبة الخارجية²³.

وعام 1939 شرع المجلس الإسلامي الأعلى بترميم الجزء الشرقي من المسجد الأقصى المبارك، بتكلفة تقدر بمبلغ (13) ألف جنيه، وفيما يخص قبة الصخرة المشرفة كانت إدارة حفظ الآثار تدرس ترميمها وتقدر النفقات بمبلغ (70) ألف جنيه²⁴.

تضامن أهل فلسطين مع المسلمين:

ضمن هذه العلاقة الاجتماعية مع الدول العربية، أقيم في حيفا حفل تأبين لسعد زغلول، حضره أكثر من (3000) رجل، وقد أرسلت عكا وصفد والناصرة وترشيحا وفودا عنها لحضور الحفل، ثم وزعت لجنة الحفل اللحم والخبز للفقراء²⁵. وعندما أُلقت نيابة مصر القبض على محب الدين الخطيب صاحب صحيفتي "الفتح" و "الزهراء"، كان لذلك وقعه في نفوس أهل فلسطين، فتحدثت صحف فلسطين عن مآثره، كما أرسل بعض أهل القدس رسائل استنكار لصحف القاهرة²⁶.

ولما اعتدت فرنسا على حرمان المسلمين البربر في المغرب، فحاولت تنصيرهم، وأغلقت المساجد والمدارس التي يدرس فيها القرآن الكريم، وقف أهل فلسطين مع البربر، ففي خطبة الجمعة وعلى منبر المسجد الأقصى المبارك، بين الشيخ سعد الدين الخطيب ضرورة وقوف مسلمي البربر وكل المسلمين في وجه هذا المخطط التنصيري²⁷.

كما أرسل المجلس الإسلامي الأعلى إلى رئيس وزارة الحكومة الفرنسية بواسطة قنصل فرنسا الجنرال في القدس، رسالة احتجاج باسم مسلمي فلسطين على أعمال فرنسا في المغرب²⁸.

²³ الفتح، م21، ع 461، 1354هـ (1935م)، ص13.

²⁴ الفتح، م34، ع 672، 1358هـ (1939م)، ص7.

²⁵ الفتح، م5، ع 118، 1347هـ (1928م)، ص12.

²⁶ الفتح، م5، ع 123، 1347هـ (1928م)، ص7.

²⁷ الفتح، م10، ع 228، 1349هـ (1930م)، ص13.

²⁸ الفتح، م10، ع 229، 1349هـ (1930م)، ص11.

وعندما ارتكبت إيطاليا الفظائع في ليبيا، فقتلت المسلمين ومزقت وأحرقت المصاحف، ثار المسلمون جميعا ضد تلك الجرائم، ومن ضمنهم أهل فلسطين، فقد احتجت المدن الفلسطينية وجمعيات الشبان المسلمين على تلك الفظائع، وأرسلوا برقيات احتجاج إلى عصبة الأمم²⁹.

وبعد استشهاد المجاهد عمر المختار، انعقد مجلس بلدية غزة برئاسة رئيسه فهمي الحسيني، وقرر تسمية الشارع الكبير في المدينة باسم المجاهد عمر المختار³⁰.

وقد احتج قنصل إيطاليا في القدس على تلك التسمية، فاجتمع حاكم غزة برئيس البلدية، وذكر له اعتراض قنصل إيطاليا، فكتب رئيس البلدية الى الحاكم يقول له: إن لبلدية غزة الحق أن تمجد الشخص الذي يحمل له الأهلون في قلوبهم أطيب الذكرى وأسمى معاني الاحترام³¹.

كما أطلقت بلدية يافا اسم "سلطان الأطرش" المجاهد السوري على أحد شوارعها³².

وعندما تزايدت الخلافات بين المملكة العربية السعودية ومملكة اليمن، وكانت الأوضاع تنذر باشتعال الحرب بين الطرفين، كتب علماء نابلس إلى الملك عبد العزيز آل سعود: "المسلم معصوم الدم سبابه فسوق وقتاله كفر والفتنة نائمة فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم، ولا تكونا عوناً للأغيار على المسلمين". فرد عليهم بالبرقية التالية: "نقول كما قلت الفتنة نائمة لعن الله موقظيها، مستحيل إن شاء الله أن يكون من جهتنا أي سبب لقتال أو فتنة فإن بلينا دافعنا"³³.

لم يكن التضامن مع المسلمين معنويا فحسب، بل كان ماديا أيضا، فقد تبرعت فلسطين للحجاز، وذلك عندما كتب حافظ البطة رسالة إلى محب الدين الخطيب، يقول له فيها: "وبهذه المناسبة أعدكم أنني سأقدم لذلك جنهين فلسطينيين (أي 195 قرشا مصريا)، مما سيوجب علي من الزكاة الشرعية. وذلك عند نشركم في الفتح الغراء خبر أول جمعية تألفت لهذا المقصد خارج الحجاز. وكذلك ستدفع أهل بيتي خمسين قرشا على هذه النية"³⁴.

²⁹ الفتح، م10، ع 249، 1349هـ (1931م)، ص12.

³⁰ الفتح، م11، ع 273، 1350هـ (1931م)، ص6.

³¹ الفتح، م12، ع 286، 1350هـ (1931م)، ص9.

³² الفتح، م21، ع 460، 1354هـ (1935م)، ص12.

³³ الفتح، م15، ع 359، 1352هـ (1933م)، ص19.

³⁴ الفتح، م8، ع 191، 1348هـ (1930م)، ص9.

وجاءت رسالته بناء على مقال قرأه في العدد (187) من الصحيفة يتحدث عن بدء النهضة في الحجاز؛ ولأن واردات الحكومة الحجازية قليلة لا تساعد على السرعة بفتح المدارس والشوارع وتعبيد الطرقات وإصلاح الموانئ. فاقترح الكاتب (نجاح طابع) تأسيس جمعيات خارج الحجاز تجمع التبرعات للمساهمة في تلك النهضة³⁵.

كما أرسل حافظ البطة تبرعات عبر "الفتح" إلى فقراء المدينة قيمتها (935) قرشا فلسطينيا و (3) مل، أي (912) قرشا مصريا) جمعها هو وعمر شبير من أهل الخير في بلدة خانيونس في فلسطين³⁶.

ثانيا: الحياة الثقافية:

لم يحرص الانتداب البريطاني طوال هذه المرحلة على تثقيف أبناء فلسطين وتدريبهم على قيادة الرأي والاستقلال في شئون الإدارة ونظم الحكم، وإنما كان هدف التعليم هدفا استعماريًا وهو تخريج عدد مناسب من الموظفين العرب يقبلون خدمة مصالح الانتداب ويدافعون عن وجوده.

وكان من الطبيعي أن تخضع مناهج التعليم لتوجيه إدارة التعليم التابعة لحكومة الانتداب التي عملت على توجيه التلاميذ العرب للقبول بالثقافة الإنجليزية وسياسة الانتداب وبناء "الوطن القومي" لليهود³⁷.

التعليم:

اتصف التعليم أيام الانتداب البريطاني بالقصور من نواح عدة، سواء من ناحية مراحل أو من ناحية المبالغ المخصصة له، أو من ناحية المناهج المتبعة، أو من ناحية عدد المدارس والطلاب.

فمن ناحية مراحل التعليم حالت الدولة المنتدبة دون استكمال العرب لهذه المراحل، فلم يشمل التعليم أيام الانتداب أولى مراحل وهي رياض الأطفال، كما لم يشمل ذروة مراحل، وهي مرحلة التعليم الجامعي³⁸.

³⁵ الفتح، م8، ع187، 1348هـ (1930م)، ص4.

³⁶ الفتح، م20، ع444، 1354هـ (1935م)، ص22.

³⁷ الساعاتي، أحمد: التطور الثقافي في غزة، ص92.

³⁸ الساعاتي، أحمد: التطور الثقافي في غزة، ص118.

وعن أحوال المدارس قالت صحيفة "الصراط المستقيم" التي تصدر في يافا، إن في مدرسة عكا الثانوية (5) أساتذة مسيحيين لـ (35) تلميذا مسيحيا، وأستاذين مسلمين لـ (115) تلميذا مسلما. وفي مدرسة البنات (11) معلمة مسيحية لـ (150) تلميذة مسيحية، ومعلمتان مسلمتان لـ (300) تلميذة مسلمة. وفي المدرسة الابتدائية (3) معلمين مسيحيين لـ (43) تلميذا مسيحيا، و (3) معلمين مسلمين لـ (92) تلميذا مسلما. أما القرى فالقرى الإسلامية يوجد في مدارسها معلمون مسيحيون، وأما القرى المسيحية فليس فيها معلم واحد مسلم. والعناية بأثاث مدارس القرى المسيحية أكثر من العناية بمدارس القرى الإسلامية³⁹.

أما ميزانية التعليم فكانت ضئيلة لا تسد حاجة عرب فلسطين إلى تعليم أبنائهم، وبالمقابل كان نظام التعليم الصهيوني يستمد مصادر تمويله من المنح الحكومية المحسوبة بدقة، ومن الوكالة اليهودية، ومن رسوم البلديات والمجالس المحلية، ومن رسوم الدراسة التي يدفعها الطلاب⁴⁰.

وتقدر ميزانية التعليم بمبلغ (121,378) جنيها، بزيادة (14,167) جنيها عن السنة السابقة. وقد عين من هذه الزيادة مبلغ عشرة آلاف جنيه إعانة للمدارس الصهيونية، ويبلغ عدد تلاميذ مدارس الحكومة (17109) من المسلمين السنين، منهم (2692) تلميذة. و (2174) تلميذا درزيا منهم (28) تلميذة⁴¹.

ولم تكن تلك الميزانية تتجاوز الخمسة بالمائة من الميزانية العامة، وهي تقل كثيرا عما هو مألوف وطبيعي، وكان أكبر بند في الميزانية يصرف على الأمن وحفظ النظام، ففي عام 1945/1946م بلغت نفقات الأمن لحكومة الانتداب 62% من إيرادات الحكومة، وهي تمثل أكثر من 55% من النفقات الكلية للحكومة⁴².

وقد اعترف تقرير اللجنة الملكية عام 1937م، بصدق تظلم العرب، من حيث قلة المخصصات التعليم، وعدم كفاية الاعتمادات المخصصة للتعليم⁴³.

³⁹ الفتح، م3، ع54، 1346هـ (1927م)، ص13.

⁴⁰ الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، م2، ص1127.

⁴¹ الفتح، م3، ع67، 1346هـ (1927م)، ص13.

⁴² الساعاتي، أحمد: التطور الثقافي في غزة، ص118.

⁴³ الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، م2، ص1127.

ولم تهتم بريطانيا كثيرا بتعليم العرب، بل عمدت إلى تجهيلهم والإبقاء على تخلفهم، بعكس اليهود الذين تولوا بأنفسهم تعليم أولادهم وسمحت لهم بالإشراف على مدارسهم ومنحتهم المخصصات المالية اللازمة والكافية لتعليم أنفسهم في الوقت الذي كانت تحرم فيه العرب من نعمة ذلك العلم. فقد بلغت نسبة الذين حرّموا من التعليم من أطفال اليهود من سن "5_14" في عام 1944م 3%، بينما بلغ ذلك 67% من الأطفال العرب⁴⁴.

وقد نشرت الحكومة مشروع قانون التعليم، وأهم الغايات منه الإشراف على جميع أنواع التعليم المحلي، وهو يخول الحكومة الحق في دخول المدارس وتفتيشها، والموافقة على تعطيل المدارس الخاصة بغض النظر عن طائفتها، ولا يسمح بالبقاء أو الإنشاء إلا للمدارس التي تكون خاضعة لتفتيش الحكومة وموافقتها، وإن الحكومة تعنى بفحص مؤهلات كل معلم قبل السماح ببقيد اسمه في سجل المعلمين⁴⁵.

وفي المقابل سمحت بريطانيا لليهود بالإشراف على مدارسهم، مما أتاح لهم إنشاء جيل له ملامحه اليهودية الخاصة، وقد نمت المدارس اليهودية في ظل الانتداب، وزاد عددها من (137) مدرسة سنة 1920 إلى (573) مدرسة سنة 1945م⁴⁶.

وفي المحصلة كان هدف التعليم موجها نحو إعداد بعض الأفراد المتعلمين ملء الشواغر الحكومية، لا من أجل محو الأمية والنهوض بالمستوى التعليمي وتطويره، ولا لإعداد مواطنين صالحين ليعملوا على تحسين الحالة الاقتصادية والاجتماعية في فلسطين⁴⁷.

وردا على اعتداء البوليس الإنجليزي على تلاميذ المدارس الحكومية بالضرب وكشف عورتهم، قرر أهالي نابلس مقاطعة تلك المدارس⁴⁸.

⁴⁴ النشئة وآخرون، رفيق: فلسطين تاريخا وقضية، ص115_116.

⁴⁵ الفتح، م3، ع68، 1346هـ (1927م)، ص12.

⁴⁶ الجنيدي، إبراهيم: سياسة الانتداب البريطانية الاقتصادية في فلسطين، في شؤون فلسطينية، العدد 191، ص95.

⁴⁷ الساعاتي، أحمد: التطور الثقافي في غزة، ص104.

⁴⁸ الفتح، م7، ع171، 1348هـ (1929م)، ص15.

وبخصوص مناهج التعليم فقد شابها عيوب كثيرة، فلم تعتن مناهج التاريخ والجغرافيا عناية كافية بدراسة التاريخ الوطني الفلسطيني والتاريخ العربي، وهذا ما أكده الدكتور خليل طوطح في شهادته أمام اللجنة الملكية عام 1937م، حينما ذكر للجنة أن منهج مادتي التاريخ والجغرافيا يركز على موضوعات علمية، ولا يركز على الشخصية الفلسطينية، وتاريخ البلاد وجغرافيتها، ولا يربط بين الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي يمر بها المجتمع الفلسطيني⁴⁹.

وفي 1932 دعا المكتب الدائم للمؤتمر الإسلامي المهندسين المسلمين إلى المشاركة في وضع الخرائط لبناء جامعة⁵⁰ المسجد الأقصى الإسلامية في القدس، التي قرر المؤتمر الإسلامي عام 1931 تأسيسها⁵¹. ثم بدأ الفلسطينيون والمهاجرون العرب في الأرجنتين بجمع التبرعات لبناء الجامعة⁵². وعندما وصل وفد المؤتمر الإسلامي إلى الهند قادما من العراق استقبله نظام حيدر آباد بالتبرع للجامعة الإسلامية بستمائة ألف روبية (أكثر من 42 ألف جنيه)⁵³. كما تلقى مكتب المؤتمر الإسلامي العام من نظام حيدر آباد حوالة بقيمة (100) ألف روبية للجامعة⁵⁴.

الحق العربي في فلسطين:

تتضح أحقية المسلمين في أرض فلسطين، من خلال النصوص الدينية والوقائع التاريخية.

1_ القرآن الكريم والسنة النبوية:

فلسطين أرض إسلامية، وهي مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال الله سبحانه وتعالى في سورة الإسراء: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} ⁵⁵.

⁴⁹ الساعاتي، أحمد: التطور الثقافي في غزة، ص118.

⁵⁰ اقتصر التعليم العالي على بعض المعاهد العليا، وقد كان بعض الموسرين يرسلون أبناءهم لمواصلة تعليمهم خارج فلسطين. (الساعاتي، أحمد: التطور الثقافي في غزة، ص107).

⁵¹ الفتح، م13، ع 302، 1351هـ (1932م)، ص3.

⁵² الفتح، م14، ع 327، 1351هـ (1932م)، ص14.

⁵³ الفتح، م14، ع 328، 1352هـ (1933م)، ص10.

⁵⁴ الفتح، م17، ع 391، 1353هـ (1934م)، ص17.

⁵⁵ سورة الإسراء: 1.

وهي قبلة المسلمين الأولى صلى إليها المسلمون سبعة عشر شهرا قبل أن تحول إلى البيت الحرام، وفيها المسجد الأقصى، أحد المساجد الذي تشد له الرحال، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا ومسجد الحرام ومسجد الأقصى"⁵⁶.

وحين فتحتها عمر بن الخطاب لم يقسم أرضها بين الفاتحين، ولكن جعلها ملكا لذراري المسلمين يتوارثونها جيلا بعد جيل، ولا يحق لملك أو زعيم أو جيل أن يتنازل عنها؛ لأنها ليست من حقه⁵⁷.

ثم إن المسلمين هم الورثة الحقيقيون لإبراهيم صلى الله عليه وسلم: {إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ}⁵⁸.⁵⁹

2_ الوقائع التاريخية:

وما ينسف ادعاءات الصهاينة بأن لهم حقا في فلسطين، هو ما ذكره وايتلام من أن الباحثين التوراتيين لم يجدوا أي أثر ولو صغير لما يسمى "مملكة داود" (صلى الله عليه وسلم) في فلسطين، ويقول وايتلام: "إن دولة كبرى إلى هذا الحد، إن لم نقل إمبراطورية، لا بد أن تحدث تغييرات أساسية في التنظيم الاجتماعي والسياسي، وهو أمر كان ينبغي أن يترك بعض الأثر في الوثائق الأثرية على الأقل"⁶⁰.

ويرى وايتلام أن الخطاب التوراتي اختلق تاريخا كثيرا، ولا بد من تحرير التاريخ الفلسطيني "إذا تمكنا من تغيير المنظور الذي تنبع منه التصورات لبنين أن خطاب الدراسات التوراتية قد اختلق تاريخا كثيرا ما يعكس حاضرها في كثير من جوانبه، عندئذ فقط يمكن أن نحرر التاريخ الفلسطيني، ونتقدم باتجاه خطاب يسمح ببناء تصورات بديلة للماضي. وهذا سيحرر أيضا الفترات السابقة واللاحقة للمنطقة من قبضة التاريخ الإسرائيلي"⁶¹.

⁵⁶ صحيح مسلم، كتاب الحج، باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، ص 1397، حديث صحيح.

⁵⁷ المقدمة: إبراهيم: معالم في الطريق لتحرير فلسطين، ص 70.

⁵⁸ سورة آل عمران: 68.

⁵⁹ المقدمة: إبراهيم: معالم في الطريق لتحرير فلسطين، ص 71.

⁶⁰ وايتلام، كيث: اختلاق إسرائيل القديمة، ص 225.

⁶¹ وايتلام: كيث: اختلاق إسرائيل القديمة، ص 321.

وقد انتهى الدكتور أولبرايت (الرئيس الفني للحفريات التي أجريت بالقرب من قرية الظاهرية من أعمال مدينة الخليل على نفقة جامعات أمريكا) من أعمال التنقيب عام 1932م، وتوصل إلى النتائج التالية: أن الطبقة الأولى من الأرض إلى عمق ستة أمتار هي عربية، أن الطبقة الثانية إلى عمق عشرة أمتار هي بيزنطية، لم يعثر على أشياء جوهرية تثبت العهد العبراني بعد هاتين الطبقتين. وهذه النتيجة هي نفسها التي توصل إليها في العام 1931م حين قام بالحفر حوالي قرية دير غسانة، ومن هذا يستنتج أن العرب كانوا يقطنون القرى العربية من قبل الفتح الإسلامي⁶².

وقد تم اكتشاف عملة ذهبية في قرية اللجون من أعمال جنين، فعندما كان العمال يجرون أعمال التنقيب وجدوا آنية قديمة فيها (160) قطعة ذهبية من النقود الإسلامية، مكتوب على جانبها "لا إله إلا الله" وعلى الجانب الآخر "قل هو الله أحد"⁶³.

كما اكتشف أحد السجناء الذين كانوا يشتغلون في تعبيد الطرق آنية فيها (168) دينارا ذهبيا، ضربت في سنة (86هـ)، وقد كتب على الوجه الأول منها بالخط الكوفي: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له"، وفي دائرة الوسط: "محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله"، وعلى الوجه الثاني: "قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد"، وكتب عليه أيضا: "بسم الله ضرب هذا الدينار سنة ست وثمانين"، وهي السنة التي توفي فيها أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان، وتولى الخلافة بعده ابنه الوليد رحمهما الله⁶⁴.

كما تم اكتشاف قصر أموي في فلسطين، عندما كانت مصلحة الآثار في حكومة فلسطين تقوم بأعمال التنقيب عن دير بيزنطي في خربة المفجر من وادي الأردن على بعد كيلو متر من شمال أريحا، والقصر يشتمل على كثير من النقوش والزخارف الثمينة، وتدل الكتابة المنقوشة على الرخام أن القصر شيده الخليفة هشام بن عبد الملك تاسع خلفاء بني أمية ليقضي فيه فصل الشتاء⁶⁵.

⁶² الفتح، م13، ع 310، 1351هـ (1932م)، ص14.

⁶³ الفتح، م16، ع 374، 1352هـ (1933م)، ص13.

⁶⁴ الفتح، م16، ع 378، 1352هـ (1933م)، ص19.

⁶⁵ الفتح، م29، ع 584، 1356هـ (1938م)، ص21.

ثالثا: الحياة الاقتصادية:

تعتبر السياسة الاقتصادية لحكومة الانتداب أخطر جوانب السياسة البريطانية في فلسطين، حيث لعبت تلك السياسة الاقتصادية الدور الأبرز في التمهيد لإقامة الكيان الصهيوني على حساب تقليص وإضعاف الاقتصاد الفلسطيني، وتهيئة الظروف لإنشاء "الوطن القومي" اليهودي.

وكانت بريطانيا تسعى إلى تحقيق مصالحها ومصالح الصهاينة في فلسطين، فقد عملت على نقل البترول إلى حيفا، وإنشاء خطوط السكك الحديدية، للاستفادة منها في تحقيق مآربها، ومن ذلك التحيز للصهاينة السماح لهم بالسيطرة على امتياز البحر الميت، وقد حاول العرب التصدي لتلك السياسة، من خلال إنشاء البنك العربي، وتأسيس بعض المصانع.

السيطرة اليهودية الاقتصادية:

وضعت سلطات الانتداب البريطاني القطاعات الرئيسة للاقتصاد الفلسطيني تحت هيمنتها، واتبعت سياسة أدت عمليا إلى تسخير موارد فلسطين الطبيعية (شركة البوتاس الصهيونية، شركة الملح الفلسطينية، شركة الكهرباء الفلسطينية المحدودة) لصالح المشروع الصهيوني.

وقد اشترت شركة يهودية أمريكية الشركة العربية التي بيدها تشغيل الحمامات الحارة الصحية في طبرية، وأعلن أنه سيبني هناك فندق من الدرجة الأولى⁶⁶.

وكانت الميزانية الصهيونية المخصصة لاستعمار فلسطين كبيرة، فقد ورد إلى إدارة إنشاء (الوطن القومي اليهودي) في فلسطين (40294) جنيها، لتضم إلى رأس المال العمومي لاستعمار فلسطين، فيكون الوارد على اللجنة إلى نهاية العام الماضي (1927م) (3) ملايين و (235250) جنيها⁶⁷.

وفي سبيل تلك السيطرة التقى وفد من زعماء الصهيونية في كندا والولايات المتحدة المستر "إيمري" وزير المستعمرات، وطالبوا بإلحاح تخفيف العراقيل التي تعرقل مساعي الصهيونية؛ بسبب ما يظهر من عدم مبالاة حكومة فلسطين بإصلاح الضرائب، وقال المستر "إيمري" بأنه قد أعد مشروع لتعديل أساليب الضرائب التركية⁶⁸.

⁶⁶ الفتح، 4، ع79، 1346هـ (1928م)، ص5.

⁶⁷ الفتح، 4، ع80، 1346هـ (1928م)، ص12.

⁶⁸ الفتح، 4، ع80، 1346هـ (1928م)، ص12.

وقد أبدى السر "الفرد موند" الثري اليهودي اهتماما كبيرا بمشروع مد سكة حديد بين حيفا وبيغداد، وأنه متى حان الوقت ووضع هذا المشروع على بساط البحث، كان هو أحد الطالبين لامتيازه؛ لأن آخر زيارة له لفلسطين والعراق كانت لهذا الغرض وأغراض أخرى⁶⁹.

وقد كان أكثر مصانع فلسطين تديرها الأيدي اليهودية برؤوس أموال يهودية، وهي تتمتع بمساعدات قانونية كبيرة، مثل تخفيض الرسوم الجمركية على المواد الخام التي تستهلكها تلك المصانع أو الإعفاء منها بتاتا⁷⁰.

وهذا يفسره التبرعات التي كانت تصل لصندوق الوطن "القومي" في فلسطين، فقد بلغت التبرعات منذ إنشائه من (15) سنة، خمسة ملايين وسبعمائة وخمسين ألف جنيه إنجليزي⁷¹.

"وخلاصة القول أن الاقتصاد الفلسطيني أدير طوال حكم الانتداب البريطاني في ظل هدف إحلال الوجود الصهيوني محل الوجود العربي في فلسطين، وقد نجم عن غياب السلطة الوطنية الموجلة بإدارة التنمية الوطنية التي تمثل مصالح أغلبية السكان، الأمر الذي أدى إتباع سياسات اقتصادية وإمائية تمييزية، كان من نتيجتها تطوير الهياكل الارتكازية الاقتصادية والاجتماعية وبناء القواعد المؤسسة والإنتاجية في ظل أطر سياسية وقانونية وإدارية تحكمت جميعها في توجيه مسارات التطور الاقتصادي الفلسطيني باتجاه إقامة الدولة الصهيونية"⁷².

مشاريع بريطانيا في فلسطين:

هدفت السياسة العامة التي انتهجتها سلطات الانتداب في فلسطين، في المجال الاقتصادي، إلى تحقيق هدفين رئيسيين مترابطين، هما: ضمان المصالح المباشرة لبريطانيا، وإيجاد المقومات المادية الضرورية لنجاح مشروع "الوطن القومي اليهودي"⁷³.

⁶⁹ الفتح، م، 4، ع 98، 1346 هـ (1928م)، ص 8.

⁷⁰ الفتح، م، 19، ع 430، 1353 هـ (1935م)، ص 14.

⁷¹ الفتح، م، 26، ع 536، 1355 هـ (1936م)، ص 5.

⁷² الساعاتي، أحمد: تاريخ فلسطين الحديث والمعاصر، ص 26.

⁷³ الشريف، ماهر: تاريخ فلسطين الاقتصادي_ الاجتماعي، ص 111.

فلم تكن الإمبريالية البريطانية ترى في فلسطين سوى ملحق يزودها بالخامات الزراعية وسوق تصدر إليها رؤوس أموالها ومنتجاتها الصناعية المحولة، وبالتالي لم تكن لها مصلحة حقيقية في تطوير الاقتصاد المحلي الفلسطيني إلا بما يتناسب مع خدمة أغراضها العسكرية ومصالحها الإستراتيجية⁷⁴.

وتحقيقاً لمصالح بريطانيا المباشرة فقد قررت بريطانيا حفر آبار البترول في الصحراء السورية وتمديد الأنابيب إلى مرفأ حيفا، والشركة الإنجليزية التي تستخرج البترول في الموصل هي نفسها تقوم بحفر الآبار في الصحراء⁷⁵. وفي عام 1934م وصلت أول قطرة من بترول العراق إلى حيفا بواسطة خط الأنابيب الذي تم مده في الصحراء⁷⁶.

وقد سنت السلطات البريطانية قوانين الأراضي والهجرة والجنسية والنقد الفلسطيني، مما أدى سريعاً إلى نمو المشروع الصهيوني، الذي تجسد في قيام مشروع كهرباء فلسطين (مشروع روتنبرغ)، وبامتياز مدته (70) عاماً، وكذلك امتياز البحر الميت، حيث حصل اثنان من اليهود الروس، هما: نوفوسكي وتولوخ، في العام 1929م، على امتياز من حكومة الانتداب يتيح لهما استغلال تلك الأملاك؛ وكذلك تخفيف بحيرة الحولة، حيث تم تشريد (1500) عائلة من الفلاحين العرب جراء تنفيذه. وعلاوة على ذلك، فقد سمحت سلطات الانتداب لليهود بإقامة ميناء خاص لهم في تل أبيب؛ لمنافسة ميناء يافا العربي المتناخم له⁷⁷.

وقد كان في البحر الميت الكثير من المعادن، وعمل في المشروع مئات العمال، وتم استخراج البوتاس وصدر بكميات كبيرة إلى أوروبا⁷⁸.

كان التمييز واضحاً بين العامل العربي واليهودي، فقد اشتغل في البحر الميت (120) عاملاً عربياً، و (130) عاملاً يهودياً، لاستخراج الملح. أما الأجور فإن العامل العربي يتقاضى (15) قرشاً يومياً، بينما يتقاضى العامل اليهودي (30) قرشاً⁷⁹.

⁷⁴ الساعاتي، أحمد: محاضرات في تاريخ فلسطين الحديث والمعاصر، ص26.

⁷⁵ الفتح، م، 6، ع128، 1347هـ (1928م)، ص12.

⁷⁶ الفتح، م، 18، ع 417، 1353هـ (1934م)، ص21.

⁷⁷ الجنيدي، إبراهيم: سياسة الانتداب البريطانية الاقتصادية في فلسطين، في شؤون فلسطينية، العدد 191، ص94_95.

⁷⁸ الفتح، م، 19، ع 426، 1353هـ (1934م)، ص11.

⁷⁹ الفتح، م، 10، ع 234، 1349هـ (1930م)، ص3.

ونتيجة ما كان يجده العرب من العنف والقسوة فقد قرر العرب في القدس الامتناع عن دفع الضرائب⁸⁰.

العمال العرب واليهود:

كان العمال العرب يعملون عند اليهود اثنتي عشرة ساعة في اليوم بأجور قليلة⁸¹. وقد بلغ عدد العاطلين منهم عن العمل (12) ألف في آخر عام 1930م⁸². ومع ذلك كانت المساعدات توزع للعمال اليهود، فقد بدأ السر "الفريد موندا" بجمع مبلغ (20) ألف جنيه؛ لمساعدة العمال اليهود العاطلين عن العمل في فلسطين، وقد دفع المستر "برنار باردن" (5) آلاف جنيه، واكتتب السر "الفريد موندا" بمبلغ (1000) جنيه لذلك الغرض⁸³. ومع ذلك فقد انتحر خلال أسبوع واحد من شهر حزيران (يونيو) عام 1928م (5) يهود؛ بسبب ضيق ذات اليد⁸⁴. حتى إن ثلاثة أحزاب من أحزاب العمال اليهود في فلسطين طلبت من اللجنة الصهيونية في القدس، وقف هجرة العمال اليهود على فلسطين في تلك الفترة، نظرا للبطالة المتفشية بين العمال اليهود⁸⁵.

ومما يبين شهامة عمال فلسطين، أن عمال سكة الحديد (وبينهم كثيرون من الفقراء لا تتجاوز أجره الواحد منهم عشرة قروش يوميا) اجتمعوا فقرروا التبرع بأجور ربع يوم واحد من عملهم جميعا إعانة للمنكوبين في أحداث الصدامات مع اليهود⁸⁶.

الاقتصاد الفلسطيني في عهد الانتداب البريطاني:

بلغ عدد موظفي الحكومة الفلسطينية (2143) منهم (538) من الإنجليز و (1079) من العرب، والباقي من اليهود. أما الرواتب فيبلغ مجموعها السنوي (724,640) جنيها، يتقاضى الموظفون الإنجليز منها (421,510)، أي أكثر من نصف مجموع الرواتب، وبلغ عدد كبار الموظفين الإنجليز (463) موظفا⁸⁷.

⁸⁰ الفتح، م، 7، ع 172، 1348 هـ (1929م)، ص 15.

⁸¹ الفتح، م، 4، ع 76، 1346 هـ (1927م)، ص 4.

⁸² الفتح، م، 10، ع 240، 1349 هـ (1930م)، ص 5.

⁸³ الفتح، م، 4، ع 76، 1346 هـ (1927م)، ص 12.

⁸⁴ الفتح، م، 4، ع 100، 1346 هـ (1928م)، ص 4.

⁸⁵ الفتح، م، 29، ع 596، 1357 هـ (1938م)، ص 11.

⁸⁶ الفتح، م، 16، ع 371، 1352 هـ (1933م)، ص 8.

⁸⁷ الفتح، م، 5، ع 116، 1347 هـ (1928م)، ص 6.

وبلغت واردات حكومة فلسطين في النصف الأول من عام 1931م (1,339,883) جنيها و (471) مل، وبلغت المصروفات في المدة نفسها (1,228,827) جنيها و (736) مل⁸⁸.

وقد كانت فلسطين تصدر العديد من المحاصيل الزراعية، وخصوصا الحمضيات التي اشتهرت بزراعتها، وكانت بريطانيا في مقدمة البلدان المستوردة من فلسطين، وما كانت تستورده يكاد كله من الأثمار الحمضية، بحيث مثلت نسبة الحمضيات المصدرة إلى بريطانيا، 9,9% عام 1935 و 96,3% عام 1936م، من مجموع ما اشترته من فلسطين⁸⁹.

وكان هناك تبادل تجاري مع الدول العربية، ففي يوليو عام 1933م افتتح المعرض العربي في القدس، الذي شارك فيه كلا من: حكومات مصر، والعراق، وشرق الأردن، وسوريا، وبلاد الحجاز ونجد، وشركات بنك مصر⁹⁰.

وأعلنت الحكومة العراقية عن افتتاح طريق تجارة الترانزيت بالسيارة بين العراق وفلسطين من أول يوليو عام 1933م⁹¹.

وقد قررت حكومة فلسطين أن تعقد قرضا قدره مليوناً جنيهاً للغايات التالية:

- 1_ مشاريع المياه والمجاري في القدس وحيفا، ومشاريع المياه في الخليل، وللبحث عن المياه في القرى (933,000) جنيهاً.
- 2_ لإقامة مكتب البريد في القدس، ومباني أخرى لدائرة المعارف (407,000) جنيهاً.
- 3_ لإسكان العرب الذين أخرجوا من أراضيهم (250,000) جنيهاً.
- 4_ لبناء أحواض للبتروول ومشاريع إحياء الأراضي بحيفا (210,000) جنيهاً.
- 5_ للاعتمادات الزراعية (200,000) جنيهاً.
- 6_ ووافقت الحكومة البريطانية على تقديم منحة من صندوق المستعمرات المشترك تساوي قيمة الفائدة المستوفاة عن رؤوس الأموال التي تقتضيها هذه المشاريع⁹².

⁸⁸ الفتح، م11، ع 273، 1350هـ (1931م)، ص12.

⁸⁹ الشريف، ماهر: تاريخ فلسطين الاقتصادي_ الاجتماعي، ص128.

⁹⁰ الفتح، م14، ع 350، 1352هـ (1933م)، ص10.

⁹¹ الفتح، م14، ع 356، 1352هـ (1933م)، ص15.

⁹² الفتح، م17، ع 399، 1353هـ (1934م)، ص15.

وعندما حال اليهود المساهمون في بنك مصر دون اشتراكه مع عرب فلسطين عمل أحمد حلمي على إنشاء مصرف تجاري باسم "البنك العربي"، وعام 1936م قرر البنك العربي زيادة رأس ماله إلى (105) ألف جنيه، بزيادة (60) ألفاً، ما عدا رأس المال الاحتياطي البالغ (20) ألفاً⁹³. وكتب له النجاح عام 1933 بافتتاح "البنك الزراعي العربي" ومركزه في بيت المقدس وله فروع في غزة وطولكرم والرملة وطبرية وعكا ونابلس⁹⁴، وبلغت أرباحه في عام 1935م (11952) جنيه⁹⁵. ثم أسس بنك عربي ثالث باسم "البنك العربي الصناعي"، برأس مال (30) ألف جنيه، وجعل مركزه القدس لمساعدة المشروعات الصناعية والعقارية في فلسطين، ومن المقرر أن تكون له فروع في حيفا ويافا⁹⁶.

وضمن جهود فلسطين الاقتصادية، عقد مؤتمر الغرف التجارية العربية في القدس برئاسة أحمد حلمي عبد الباقي، المدير العام للبنك العربي بفلسطين، وما قرره: تأسيس معمل للإسمنت برأس مال قدره (200) ألف جنيه؛ لأن فلسطين ليس فيها معمل وطني للإسمنت. وفي حيفا معمل وحيد لشركة "نيشر" وهو يجني أرباحاً وفيرة. وعزم ليف من تجار يافا العرب على إنشاء معمل لعصير البرتقال، وعقد اجتماع في اللجنة الاقتصادية التابعة للجنة العربية العليا وتقرر فيه إنشاء معمل للاسبرتو برأس مال قدره (5) آلاف جنيه⁹⁷.

النقود الفلسطينية:

عندما احتل الإنجليز فلسطين عام 1917م ألغوا النقد التركي، الذي كان مستعملاً في فلسطين، واحلوا مكانه النقد المصري، وفي عام 1921م أعلن الإنجليز المسكوكات وأوراق النقد المصرية نقداً قانونياً. كما أعلنوا الليرة الإنجليزية الذهب أيضاً نقداً قانونياً. وظل الأمر كذلك حتى عام 1927م، حيث استبدل النقد المصري بنقد فلسطيني وضربت في لندن عملة فلسطينية⁹⁸.

⁹³ الفتح، م25، ع 524، 1355هـ (1936م)، ص11.

⁹⁴ الفتح، م19، ع 425، 1353هـ (1934م)، ص14.

⁹⁵ الفتح، م23، ع 488، 1354هـ (1936م)، ص17.

⁹⁶ الفتح، م20، ع 435، 1353هـ (1934م)، ص13.

⁹⁷ الفتح، م26، ع 536، 1355هـ (1937م)، ص19.

⁹⁸ العارف، عارف: تاريخ القدس، ص162_163.

كانت فلسطين وشرق الأردن منذ وضعت الحرب أوزارها إلى أول نوفمبر عام 1927 تتعامل بالعملة المصرية، ومن أول نوفمبر بدأت فلسطين باستعمال نقود فلسطينية عملت لها في إنجلترا، لكن شرق الأردن امتنعت عن قبول العملة الفلسطينية الجديدة والتعامل بها⁹⁹.

وقد رفعت الحكومة الفلسطينية النقود المصرية من ذهب وفضة ونيكل وورق من التداول في أواخر شهر فبراير عام 1928، وألغت التداول القانوني بها، واستبدلتها للناس بالنقود الفلسطينية¹⁰⁰.

وقد كانت النقود المعدنية المتداولة في ذلك الوقت هي: 1 مل، و2 مل، و5 مل (تعريفة)، و10 مل (قرش)، و20 مل (قرشان)، وجميعها من "النيكل برونز"، و50 مل فضة (شلمن)، و100 مل فضة (بريزة)¹⁰¹.

أما الأوراق النقدية الفلسطينية فقد كانت تطبع في لندن، وهي من فئات: نصف الجنيه (50 قرشا)، والجنيه (100 قرش)، وخمسة جنيهات (500 قرش)، وعشرة جنيهات (1000 قرش)، وخمسون جنيها (5000 قرش)، وأخيرا ورقة من فئة مائة جنيه (10000 قرش)، وجميعها تتشابه في نظام الكتابة وتختلف في أطوالها وألوانها والصور التي طبعت عليها¹⁰².

وظلت العملة الفلسطينية تدور في فلك الجنيه الإسترليني قرابة عشرين عاما (حتى 22 فبراير عام 1948م)، عندما صدر قرار بخروج فلسطين من منطقة الإسترليني.

المواصلات:

سكة حديد حيفا:

بسبب احتياجات سلطات الانتداب، اتسعت شبكة الطرق في البلاد وتحسنت، وازداد طول السكك الحديدية بنسب كبيرة، كما تطورت وسائل النقل والمواصلات، ففي حين لم يتجاوز طول شبكة الطرق (233) كيلو متر عام 1917، وصل طول شبكة الطرق، المستخدمة في كل فصول السنة، إلى (2660) كيلو متر عام 1945م. ازداد طول خطوط

⁹⁹ الفتح، م3، ع70، 1346هـ (1927م)، ص15.

¹⁰⁰ الفتح، م4، ع79، 1346هـ (1928م)، ص5.

¹⁰¹ المبيض، سليم: النقود العربية الفلسطينية، ص276.

¹⁰² المبيض، سليم: النقود العربية الفلسطينية، ص283.

السكك الحديدية في فلسطين وحدها، باستثناء شرق الأردن وسيناء، من (200) كيلو متر عام 1913م إلى نحو (473) عام 1936م وإلى نحو (520) في أواسط الأربعينات¹⁰³.

وقد قررت الحكومة البريطانية صرف (55) ألف جنيه للأعمال التمهيديّة لمُد سكة حديد من بغداد إلى حيفا¹⁰⁴. ويبلغ طول الخط بين حيفا وبغداد بين (600) و (700) ميل، والمشكلة الكبرى التي كانت تستلزم الحل في ذلك الخط، هي مسألة المكان الذي يشيد فيه الجسر على نهر الفرات لمرور القطارات عبر الصحراء¹⁰⁵. كما أن بريطانيا بدأت في إنشاء مطار في حيفا مساحته (500) فدان¹⁰⁶.

وقد تأجل مد ذلك الخط إلى أجل غير مسمى؛ بسبب الأزمة الاقتصادية والمتاعب التي تلاقيها إنجلترا في الشرق¹⁰⁷.

وكانت السكك الحديدية تنافس المركبات في نقل المسافرين وشحن البضائع، سيما الحبوب والإسمنت ومواد البناء والمؤمن والأدوات المستوردة الثقيلة، والبوتاس والحمضيات للتصدير، ونقل النفط للاستهلاك المحلي. ويتضح من تقارير الحكومة أن غالبية مستخدمي سكك الحديد كانوا عرباً، وتقدر نسبة اليهود المستخدمين بحوالي 11%¹⁰⁸.

خط سيارات بين مصر وفلسطين:

كما ألفت شركة عربية إنجليزية يهودية في القدس لإنشاء خط للسيارات بين مصر وفلسطين، لتسافر السيارات في أيام معينة من الأسبوع بين القدس والقاهرة¹⁰⁹. وقد انتهى رصف الطريق عام 1939م، ويبلغ طوله من الإسماعيلية إلى الحدود المصرية (226) كيلو متر ونصف كيلو متر، وبلغت نفقات إنشائه حوالي (160) ألف جنيه¹¹⁰.

¹⁰³ الشريف، ماهر: تاريخ فلسطين الاقتصادي _ الاجتماعي، ص 134_135.

¹⁰⁴ الفتح، م9، ع 223، 1349هـ (1930م)، ص10.

¹⁰⁵ الفتح، م10، ع 233، 1349هـ (1930م)، ص4.

¹⁰⁶ الفتح، م8، ع 185، 1348هـ (1930م)، ص10.

¹⁰⁷ الفتح، م12، ع 286، 1350هـ (1931م)، ص7.

¹⁰⁸ الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، م2، ص1138.

¹⁰⁹ الفتح، م12، ع 298، 1351هـ (1932م)، ص15.

¹¹⁰ الفتح، م34، ع 687، 1358هـ (1939م)، ص10.

الموانئ البحرية:

كان في عام 1927 التجهيز لإنشاء ميناء حيفا، وأعلن أنه ستدخل فيه الأحواض اللازمة للسفن الحربية، وأن تكاليف إنشائه تبلغ خمسمائة ألف جنيه¹¹¹.

ويمتاز ميناء حيفا بعمق مياهه، وكان قد دشن رسمياً عام 1933م¹¹²، وقد بلغت مساحة المرفأ الجديد (400) فدان وهو بحجم مرفأ مرسيليا الفرنسي، ويكبر مرفأ بيروت المجاور له بخمسة أضعاف. وتبلغ مساحة الأرض المردومة المكتسبة من البحر (100) فدان، أعدوا نحو (30) منها لتكون شوارع ومنتزهات ولاستخدامها في أغراض أخرى. وعمق المرفأ (37) قدماً حيث ترسو السفن الكبيرة، و (30) قدماً حيث ترسو السفن العادية¹¹³.

وقد قررت الحكومة أن تنفق مبلغ (110,000) جنيه، على تحسين وسائل التفريغ في ميناء يافا وتسهيل نزول المسافرين، وتوسيع رصيف الميناء¹¹⁴.

ولكن وقع خلاف بين حكومة فلسطين والمستتر "بالمر" كبير مهندسي الميناء، من شأنه أن يؤجل الشروع في العمل إلى أجل غير معلوم، ويلخص الخلاف في أنه هل تكون إدارة الأعمال في الميناء تحت إشراف الحكومة أو تعطى لمتعهدين. وقد وقعت مشكلة أخرى، وهي أن الحكومة ترى أن يبدأ العمل حالاً، ولكن المستتر "بالمر" كان يرغب في تأجيله إلى نهاية العام 1928م، حتى ينال الموافقة النهائية من وزارة المستعمرات على جميع التصميمات التي وضعت للميناء¹¹⁵.

مما تقدم يتضح أن:

- كان الهدف من تأسيس صحيفة "الفتح" في مصر؛ التصدي لصحف الإلحاد والإباحية التي اجتاحت مصر بعد الحرب العالمية الأولى، وكان صاحب تلك الفكرة هو الشيخ الشهيد حسن البنا.
- اهتمت الصحيفة بالجهود المبذولة لنشر قيم الخير والفضيلة في المجتمع، وذلك من خلال إبراز دور الهيئات والجمعيات الإسلامية، التي كان لها دور في هذا الجانب.

¹¹¹ الفتح، م4، ع76، 1346هـ (1927م)، ص4.

¹¹² الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، م2، ص1138.

¹¹³ الفتح، م15، ع357، 1352هـ (1933م)، ص3.

¹¹⁴ الفتح، م5، ع113، 1347هـ (1928م)، ص5.

¹¹⁵ الفتح، م4، ع79، 1346هـ (1928م)، ص5.

- من المعلوم أن الأمة بكافة مكوناتها، تضامنت مع الشعب الفلسطيني طيلة فترة جهاده ضد المطامع الصهيونية، لكن الجديد هنا في هذه الدراسة هو: تضامن الفلسطينيين مع قضايا المسلمين في كل مكان، فقد كان لهم وقفة مع إخوانهم في مصر وليبيا والمغرب، وغيرها.
- أهملت بريطانيا الحياة الثقافية العربية، فلم تبذل أي جهد يذكر لتعليم العرب وتثقيفهم.
- هدفت سياسة الانتداب في فلسطين في المجال الاقتصادي، إلى تحقيق هدفين رئيسيين هما: ضمان المصالح المباشرة لبريطانيا، وإيجاد المقومات المادية الضرورية لنجاح مشروع "الوطن القومي اليهودي"، ولذلك كان التمييز واضحا بين العرب واليهود.

المصادر والمراجع:

القران الكريم.

أولاً: المصادر:

1_ الحديث النبوي:

صحيح مسلم،

كتاب الحج، باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد.

ثانياً: المراجع:

1_ صحيفة الفتح:

من العدد الأول عام 1926م، وحتى العدد (864) عام 1947م.

2_ البناء، حسن: مذكرات الدعوة والداعية.

3_ الجنيدى، إبراهيم: سياسة الانتداب البريطانية الاقتصادية في فلسطين، في شؤون فلسطينية، العدد 191، شباط (فبراير) 1989م.

4_ الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج5، دار العلم للملايين (بيروت).

5_ الساعاتي، أحمد: التطور الثقافي في غزة 1914_ 1967، غزة 2005م.

6_ الشريف، ماهر: تاريخ فلسطين الاقتصادي_ الاجتماعي، دار ابن خلدون (بيروت)، الطبعة الأولى 1985م.

7_ العارف، عارف: تاريخ القدس، دار المعارف، الطبعة الثانية.

8_ الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني.

9_ المقادمة، إبراهيم: معالم في الطريق لتحرير فلسطين، الطبعة الثانية 1423هـ _ 2002م.

10_ المبيض، سليم: النقود العربية الفلسطينية وسكتها المدنية الأجنبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1989م.

11_ النتشة، رفيق وآخرون: تاريخ فلسطين الحديث والمعاصر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت)، الطبعة الأولى 1412هـ _ 1991م.

12_ وايتلام: كيث: اختلاق إسرائيل القديمة، ترجمة: سحر الهنيدي، دار المعرفة، ديسمبر 1999م.

